

في عهد الانقلاب العسكري: الشباب المصري من مدرجات الجامعة إلى الخدمة في البيوت



الاثنين 8 ديسمبر 2025 10:40 م

في زمن كان يفترض أن يحصل فيه محمد وياسين وصالح ثمار التعليم وبداية تكوين أسرة وحياة مستقرة، يجد هؤلاء الشباب أنفسهم يجوبون الشقق والفيلات لتقديم خدمات التنظيف وغسل السجاد والطهي، فقط للبقاء على قيد الحياة [المأساة هنا ليست في شرف العمل اليدوي، بل في سقوط الدولة تحت حكم العسكر عن أي التزام بتوفير حد أدنى من العدالة والفرص، حتى صار خريج الجامعة يحمل أدوات التنظيف بدلاً من حمل مشروعه المهني أو أسرته الجديدة] مشهد شباب في مطلع العقد الثالث من العمر، اثنان منهم جامعيان وثالث يحمل مؤهلاً متوسطاً، يتحولون إلى عمالة منزليّة مضطّرّة، هو شهادة إدانة صريحة لنظام انقلاب على المجتمع قبل أن ينقلب على إرادته السياسية [.]

شباب تحت رحمة الانقلاب

رسميًا، تحدث الأرقام عن معدل بطالة عام يقارب 7.2% في 2024، لكن هذه النسبة المذكورة تُخفِي حقيقة أن بطالة الشباب وعدهم تقترب من 18.7%， أي أن قرابة واحد من كل خمسة شباب في سوق العمل بلا وظيفة، فضلًا عن أن الشباب يمثلون نحو ثلثي إجمالي العاطلين في مصر [هذا الأرقام تعني ببساطة أن جيلاً كاملاً يدفع عمداً خارج السوق، أو يترك في هواه بأجر هزيل، بينما تباهي السلطة ببيانات تجميلية لا تعكس واقع انسحاب الشباب من سوق العمل أو استمرارهم في بطالة مدقعة] في ظل هذا الخنق الاقتصادي، يصبح الانتقال من حلم الوظيفة المستقرة والزواج وتكوين أسرة، إلى أي عمل يوفر حدًا أدنى من الدخل ولو على حساب المكانة الاجتماعية، مساراً قسريًا لا خيارًا حرام [.]

من طموح الجامعة إلى خدمة المنازل

محمد القادم من الشرقية، وياسين من الجيزة، وصالح من بنى سويف، هم نماذج لآلاف الشباب الذين وجدوا أنفسهم يطروقون أبواب المنازل لأبواب الشركات، يحملون المكانيں ومواد التنظيف بدلاً من السير الذاتية والشهادات الجامعية [الأعمال التي يقدمونها - تنظيف الشقق والفيلات، غسل السجاد والمفروشات، وأجيال الطهي - لا تعكس فشلًا شخصيًّا بقدر ما تكشف انهيار عقد اجتماعي كان يدعى الشاب بأن التعليم بوابته الطبيعية إلى موقع اجتماعي أفضل، قبل أن تحوله دولة العسكر إلى ورقة بلا قيمة أمام جدار البطالة وغلاء المعيشة] يؤكد الخبر الاقتصادى عبد الشافى مقلد أن السبب الجوهرى لهذا الانقلاب في المسارات الحياتية هو المتغير الاقتصادي الكارثى، فالشاب الذي يسد النظام في وجهه كل الأبواب يجد نفسه مضطّرًا لدهس ما تبقى من "برستيج" اجتماعي مقابل لقمة عيش تحفظ له وأسرته الحد الأدنى من البقاء [.]

اقتصاد منهار وديون قاتلة

في الخلفية تقف سياسات مالية ونقدية مدمرة ربطت مصر البلد بصندوق النقد الدولي، حيث اقترضت مصر منذ 2017 نحو 20 مليار دولار في ثلاثة برامج، قبل أن تُضاف إليها حزمة جديدة بقيمة 8 مليارات دولار خلال السنوات الثلاث المقبلة، مقابل وصفات تقشف وخصخصة يدفع ثمنها الفقراء أولًا [تقارير حقوقية دولية وثقت أن أحد برامج الصندوق الأخيرة تزامن مع تراجع حاد لقيمة الجنيه بما يقارب النصف منذ 2022، وقفزات في أسعار الغذاء وصلت إلى أكثر من 37% في عام واحد، ما التهم أي زيادة شكلية في الدعم أو الأجر وترك ملايين الأسر تحت خط الكراوة الإنسانية] وبرغم ضخ ما يزيد على 50 مليار دولار من حزم تمويلية مشتركة بين الاتحاد الأوروبي والإمارات وصندوق النقد والبنك الدولى لإنقاذ ميزان المدفوعات، لم تتعكس هذه التدفقات على فرص عمل حقيقية أو تخفيض ملحوظ للفقر الذى تشير تقديرات منشورة إلى وصوله لنحو 35.7% من السكان، بل استمرت السلطة في مشروعات ضخمة غير منتجة وتوسيع عسكري في الاقتصاد يدمّر القطاع الخاص ويختنق أيأمل في تشغيل واسع للشباب [.]

مع انسداد الأفق، تنتشر العمالة المنزلية بين الشباب كشبكة نجاة اضطرارية، مستفيدة من تطبيقات إلكترونية ومنصات رقمية تتيح تسويق الخدمات وتكوين فرق عمل مدربة ظاهراً، لكنها في العمق تعبر عن هبوط قسري لطبقات كاملة من أبناء الطبقة المتوسطة إلى هامش الاجتماعي كان يُنظر إليه سابقاً على أنه "دون" مستوى تعليمهم وبيناتهم، يؤكد أستاذ الاجتماع السياسي سعيد صادق أن العمل المنزلي ليس جديداً على المجتمع المصري، لكنه يشير إلى أن تفاقم الفقر وتدحرج مستويات المعيشة واتساع البطالة في زمن الانقلاب جعل الظاهرة أكثر كثافة بين الذكور، وأكثر قبولاً اجتماعياً بحكم الحاجة، لا بحكم قناعة درة أو خيارات واسعة، حين يدفع شباب مثل محمد وباسين وصالح إلى هذا المسار بلا حماية نقابية حقيقية ولا شبكة أمان اجتماعية أو سياسات تشغيل جادة، تتحول القصة من مجرد تكيف فردي مع الأزمة إلى جريمة سياسية مكتملة الأركان، عنوانها "نظام يلتهم مستقبل أبنائه"، ويفتح الباب لانفجارات اجتماعية قادمة مهما طال إنكار السلطة وتجميل أرقامها.